

الثقافة وأنساق العلامات

Culture and Systems of Signs

عبد الله بريمي

Berrimi_abdellah@yahoo.fr

جامعة مولاي إسماعيل / المغرب

تاريخ النشر: 2020/12/10

تاريخ القبول: 2020/07/15

تاریخ الاستلام: 2020/05/21



ABSTRACT:

مُلْخَصُ الْبَحْثِ

Until recently, the idea of interpreting the concept of culture based on the theory of signs was not a clear idea, as the discussion of writing a systematic history of cultural semiotics was still in its infancy. On the one hand, in order to address this object, it is necessary for us to define his memory and his historical development and on the other, the logic of specialization requires that culture be a subject of semiotic research. Rather, Umberto Eco went further, shifting his interest to more complex topics, and it became clear to him that culture cannot be understood only as a semiotic subject, on the contrary: all culture must be studied as a communicative phenomenon based on semantic systems whose aim is to produce meaning. This means that culture can only be studied in this way, and only in this way can the basic mechanisms in cultural work be understood.

Keyword : Semiotic- Culture – System – Cod –Process - Interpretation

حتى عهد قريب، لم تكن فكرة تفسير مفهوم الثقافة انطلاقاً من نظرية العلامات، فكرة واضحة. إذ مازال الحديث عن كتابة تاريخ نسقي للسميائات الثقافية أمراً في بدايته؛ ممّا يفرض علينا لمعالجة هذا الموضوع ضرورة تحديد ذاكرته ورسم تطوره التاريخي من جهة ومن أخرى، فإن منطق التخصص يقتضي أن تكون الثقافة موضوعاً للبحث السميائي. بل إن أمبرتو إيكو ذهب أبعد من ذلك حيث نقل اهتمامه إلى موضوعات أكثر تعقيداً، فأصبح واضحاً أمامه أن الثقافة لا يمكن أن نفهمها فقط بوصفها موضوعاً سميائياً، بالعكس: الثقافة كلّها يجب أن ندرسها بوصفها ظاهرة تواصلية تقوم على أنساق دلالية هدفها إنتاج المعنى. وهذا معناه أن الثقافة لا يمكن دراستها إلا بهذه الطريقة، وبهذه الطريقة وحدها يمكن فهم الآليات الأساسية في العمل الثقافي.

كلمات مفتاحية: السميات - الثقافة - النسق
- السنن - السيورة - التأويل

مقدمة

لقد كان لنشر «أطروحات حول الدراسة السميائية للثقافات»¹ أثر واضح في ظهور مدرسة تارتو-موسكو السميائية على الساحة الدولية وولادة السميائيات الثقافية، باعتبارها مبحثا معرفيا جديدا. ولقد كان لهذه الأطروحات دور أساسي في تثبيت دعائم الدرس السميائي للثقافة، باعتمادها مقاربات مختلفة ومميزة، كان هدفها الأساسي هو: «دراسة العلاقة الوظيفية بين أنساق العلامات المختلفة»² وتتميز كل ثقافة بعلاقة فريدة بين أنساق العلامات الدالة عليها، ولذلك سيكون من الأجدر أثناء الحديث عن أية ثقافة محاولة فهم تطورها التاريخي.

لقد ركز لوتمان في كتابيه الأخيرين «آليات غير متوقعة للثقافة» و«الثقافة والانفجار» اهتمامه على مسألة التطور التاريخي، وحاول صياغة مقارنة لمعالجة بعض القضايا الجوهرية تراعي التطور والدينامية التاريخية والثقافية. ومن أهم الأسئلة التي طرحها في هذا الشأن نذكر:

- كيف يمكن للأنساق السميائية أن ترتبط بعالم يقع خارج مجالها وحدودها؟
- كيف يمكن لنسق أن يتطور ويحافظ في الوقت نفسه على خصوصيته؟
- هل التطور التاريخي، من حيث المبدأ، شيء يمكننا التنبؤ به؟
- هل الثقافات تتطور بشكل خطي أو دائري؟
- ما هي وضعية الفرد داخل التاريخ وداخل الثقافة؟
- كيف نتمكن من فهم لغة التاريخ؟

لقد كتب لوتمان في مذكراته قائلا: «شخصيا، لا أستطيع أن أقيم تميزا واضحا، فحيثما ينتهي الوصف التاريخي تبتدئ السميائيات»³ وقد كان للعديد من النصوص الفضل في بلورة وتطوير السميائيات الثقافية، وهو ما سنحيل عليه في دراستنا هذه، كما سنشير أيضا إلى العلاقات الممكنة بين التطور السميائي للثقافة وباقي السيورورات أو الإجراءات التي يتم تداولها في تخصصات مختلفة، ودورها في دراسة الثقافة.

ولابدّ، في البداية، من الإقرار بصعوبة إعطاء وصف شامل ودقيق للسياق التاريخي الذي ولدت فيه سميائيات الثقافة، لكن أغلب الدراسات تبين أنها نشأت في مناخ الشكلائية الروسية خاصة مع تينيانوف وجاكبسون. لقد ساهمت هذه الشكلائية في تشكيلها وبلورتها، من خلال تلقّيها النقدي للعالم اللساني فيرديناند دي سوسير وأطروحات حلقة براغ اللسانية ولسانيات لوي هيلمسليف ولسانيات نوام تشومسكي التوليديّة ونظرية مالينوفسكي في الثقافة وأنثروبولوجيا كلود ليفي ستروس البنيوية وعلم التواصل الآلي (السيبيرنطيقا) لدى فاينير إضافة إلى العديد من الباحثين والنظريات

الأخرى. ويمكن تلخيص تطلعات هؤلاء الشكلايين في رغبتهم الشديدة في فهم اللغة والثقافة بطريقة نسقية منظمة قدر الإمكان، وبطريقة تسمح لهم بدمج مناهج نوعية وجديدة في هذا الفهم.⁴

إن الخاصية الأولى والمميزة لسميائيات الثقافة، هي سعيها الدائم لأن تكون مبتكرة ومجددة على مستوى الموضوع، وذلك بتقديم طرق جديدة لتعريف الموضوع الثقافي، ووصف لغات وأشكال تعبيرية جديدة (دون الاقتصار فقط على اللغات الكونية)، لإجراء تحليلات ثقافية. ونتيجة لكل هذا، فإن ظهور السميائيات الثقافية يعني أيضا إدخال منهجية جديدة.

وتدفعنا دراسة أي ثقافة إلى البحث عن أساليب جديدة. فمدرسة تارتو- موسكو السميائية، لا تقدم نسقا معرفيا موحدًا داخل علوم الثقافة. ومع ذلك، فقد كان لوتمان يبحث عن إدماج أو تأليف بين تخصصات ومباحث معرفية متعددة - وهي المسألة التي لاحظها كارل إيميرماخير الذي استخدم لأول مرة مصطلح «علم الثقافة الإدماجي» في مقالاته عن لوتمان باللغتين الألمانية والروسية. وإن مفردة «الإدماجية» تعدّ صيغة مناسبة، مراعاة مع وضع يوري لوتمان الاعتباري والخاص في الدراسات التصنيفية لنماذج وأنماط الثقافات. وهي أيضا مفردة دقيقة في حالة مدرسة تارتو- موسكو السميائية ومن صور هذه الدقة:⁵

➤ حركية أعضاء المدرسة وأنشطتهم البحثية المتعددة في مجالات مختلفة. وقد امتدت هذه الحركية لتشمل الدراسات السلافية والدراسات الشرقية. وقد عكست أعمالهم وخبراتهم المنهجية السابقة التطورات أو التحولات التي عرفت العلوم الإنسانية والاجتماعية المعاصرة.

➤ تأملاتهم النقدية لأفكار رولان بارث في اللغة ورؤيته للسميائيات باعتبارها جزءا لا يتجزأ من اللسانيات، ومحاولة ليفي ستروس دمج تخصصات متعددة ومختلفة ضمن محور الأنثربولوجيا الثقافية أو الاجتماعية.⁶

وفي هذه الطبيعة الإدماجية أو التكاملية التي تميز مدرسة تارتو- موسكو السميائية، هناك حيز هام داخل أعمالهم له صلة بمفهوم التواصل كما عرّفه رومان جاكبسون والذي تقوم فيه السميائيات بدراسة كل الرسائل التواصلية وتحديدًا، تلك التي تشتمل على ما هو لساني. كما ترتبط فيه السميائيات أيضا بالأنثربولوجيا الاجتماعية والاقتصاد باعتباره بحثا في مجال التواصل الاجتماعي.

لقد رافق ظهور مدرسة تارتو- موسكو السميائية نشر مجموعة من الأعمال التاريخية والمتميزة التي كتبها تينيانوف وميخائيل باختين وآخرون، في الثلث الأول من القرن العشرين، ولكنها ظلت منسية لفترة طويلة.⁷ وفي إطار إعادة إحياء هذا الأرشيف وهذه الذاكرة التاريخية، تم إدخال قسم للمنشورات الأرشيفية في مجلة «دراسات أنساق العلامات»، وهي المجلة الناطقة باسم مدرسة تارتو- موسكو السميائية، حيث قامت هذه المجلة بنشر العديد من المخطوطات التي طالها النسيان أو تلك التي تمّ اكتشافها في الأرشيف. ويمكن القول إن دمج تراث الشكلايين الروس وباختين وغيرهم في

المفاهيم الجديدة لسميائيات الثقافة، وبالتالي استعادة الاستمرارية لتطوير البحوث، كان واحدا من المبادئ والرهانات الأساسية لمدرسة تارتو - موسكو السميائية.⁸ وقد شدّد المؤرخ زيلكو المنتمي لهذه المدرسة على التوجه نفسه في قوله: « في ظل سيرورة إنتاج لغة وصفية جديدة، كان هناك الأسلاف الروس والأجانب على حدّ سواء. لقد كانت المصادر الأساسية هي اللسانيات البنيوية (رومان جاكبسون ونيكولاي تروبيتزكوي) ثم المدرسة الشكلية الروسية وأعمال حلقة باختين والدراسات الفولكلورية لفلاديمير بروب وبيتر بوغاتيريف وأبحاث ليف فيغوتسكي في علم النفس والتقنيات السينمائية مع إيزينشتاين.»⁹ وقد قام فاينير بدمج تراث براغ أيضا في المفاهيم الجديدة لسميائيات الثقافة، حيث قال: «ويرى موكاروفسكي أن البنيات المركبة والمتشابكة التي تشكل أنساقا كبرى، والتي يسميها "نسق الأنساق"، تترجم إلى حدّ كبير وعلى نحو دالّ الموقف المعاصر الذي مفاده، أن الثقافة يمكن أن تُفهم باعتبارها نسقا سميائيا مركبا، وهو ما تقدم به علماء تارتو - موسكو وغيرهم.»¹⁰ وقد لاحظ أيضا تأثير مدرسة براغ في التقاليد الأخرى في هذا المجال وقد تبدّى ذلك في قوله: «إن الأفكار الخصبة التي نشأت في براغ في الثلاثينيات وضعت الأساس للسميائيات الحديثة، وتشكيل مدرسة تارتو- موسكو السميائية، والمدارس البولندية والتشيكية، والكثير من المدارس السميائية في أوروبا الغربية.»¹¹

وقد كان لدراسات وأبحاث رولان بوسنير العميقة حول السميائيات الثقافية أثرها القوي والعميق في تشخيص أهم إشكالاتها، وهو يعتبر إيرنيست كاسيرير الرائد المباشر للسميائيات الثقافية، خاصة حينما اقترح وصف بعض أنساق العلامات على أنها أشكالاً رمزية، مؤكدا على أن الأشكال الرمزية لمجتمع ما، هي التي تكون ثقافته.

إن السميائيات الثقافية هي جزء لا يتجزأ من السميائيات عامة والتي تجعل من الثقافة موضوعا لها. وحسب كاسيرير فإن السميائيات الثقافية تضطلع بمهمتين رئيسيتين هما:¹²

- ❖ دراسة أنساق العلامات داخل ثقافة ما مقارنة مع إسهاماتها وما تنتجه من قيم ومعارف وتصورات؛ (بالمعنى الذي أعطاه هيردر وتاييلور لمفهوم الثقافة)•
- ❖ دراسة الثقافات باعتبارها أنساقا من العلامات، وخاصة ما له صلة بالمزايا والعيوب أو التوازنات والاختلالات التي يكشف عنها الفرد المنتمي لثقافة معينة.

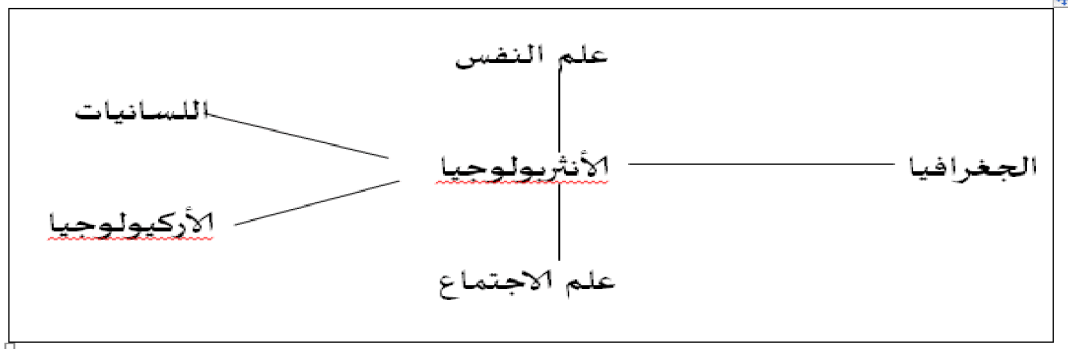
لقد كانت أعمال مدرسة تارتو- موسكو السميائية معروفة تماما في ألمانيا، حيث تم نشر العديد من الأعمال المتعلقة بسميائيات الثقافة هناك، في حين تم تطوير مفهوم منفصل عنها يسمى «سميائيات الثقافة التطورية»• من قبل الباحث كوخ الذي أسس أيضا سلسلة جديدة بعنوان «منشورات بوخوم في سميائيات الثقافة التطورية.»• ولقد اعتبر كوخ الثقافة «ظاهرة تنطوي على إمكانات إدماجية وتكاملية حقيقية لا زالت لم تُستوعب وتُستكشف بعد. وعلى هذا الأساس، فبالنسبة

للسميايات، فإن البنية والسيرورة لا تشكلان مراحل مختلفة من الحقيقة و / أو العلوم، بل هما مجرد وجهين يوحدهما حقل واحد. ومن هذا المنظور، فإن أية محاولة مثمرة لتحليل السميائي سوف تستند إلى مواضع الإدماج الكلي - أو التطور - والإدماج الجزئي - للثقافة.¹³ وبالنسبة لسميائيات الثقافة التطورية، فإن التطور، يعني حركية المحيط والبيئة الثقافية والنظر إلى هذه البيئة باعتبارها سيرورة دلالية أو سميوزيسا تتطور أولا، انطلاقا من الوسائط اللفظية أو التصويرية ثم بعد ذلك الوسائط الطباعية ثم الرقمية وغيرها مما يسود في البيئة الثقافية من مستجدات تقنية. وهي حركة تنطلق من التواصل في أبعاده المباشرة نحو تنوع أشكال تواصلية تعتمد الوسيط في أبعاده التقنية لفهم كل صيغ وأساليب التواصل، مما يجعل من القيمة الثقافية للتطور التقني جزءا لا يتجزأ من تاريخ العلم والثقافة.¹⁴

وبما أن سميائيات الثقافة عند مدرسة تارتو- موسكو السميائية تشكل جزءا كبيرا من تاريخ سميائيات الثقافة، فإن دور ليفي ستروس كباحث قام بدمج الأنثروبولوجيا في التاريخ شيء يجب إبرازه والتأكيد عليه ضمن من سبقوه. لقد تناولت هذه التخصصات المعرفية الموضوع نفسه بالدرس والتحليل لكن من زوايا نظر مختلفة: «وهم يتقاسمون الموضوع نفسه، الذي هو الحياة الاجتماعية؛ والهدف نفسه، الذي هو فهم أفضل للإنسان. وفي الواقع، المنهج نفسه، مع بعض الاختلافات والتفاوتات فقط في تقنيات البحث. وهم يختلفون، أساسا، في اختياراتهم لوجهات النظر المكملّة لأبحاثهم: فالتاريخ ينظم بياناته بناء على عبارات ومعطيات واعية استقاها من الحياة الاجتماعية، بينما الأنثروبولوجيا تتحقق من خلال فحص أسسها اللاواعية.»¹⁵

وإذا كان الاختلاف بين الأنثروبولوجيا والتاريخ مستمدا من مقارباتهما المختلفة للزمن، فإن الإثنوغرافيا والإثنولوجيا والأنثروبولوجيا هي تخصصات متداخلة ومتّحدة في مقاربتها للزمن من خلال مقولة الزمن نفسه. ولا تشكل تخصصات متباعدة: «إنها في الواقع ثلاث مراحل، أو ثلاث لحظات زمنية، تتخذ منحى واحدا، وتفضيل تخصّص واحد أو آخر من هذه التخصصات، يعني فقط أن الاهتمام قد انصبّ على نوع واحد من البحوث، والذي لا يمكنه أبدا استبعاد الباحثين الآخرين.»¹⁶

لقد اعتبر ليفي ستروس الأنثروبولوجيا النواة المركزية داخل هذا التركيب، لأنها تسمح بإنشاء روابط متعددة التخصصات ومتشعبة مع تخصصات أخرى. ووضعها المركزي يصير واضحا انطلاقا من الشكل الموالي:



ويشكل هذا الوضع استراتيجية معرفية متعددة التخصصات داخل مجال الأنثروبولوجيا. وعلى الرغم من أن المصطلحات الخمسة المحيطة بالأنثروبولوجيا تشكل مجالا موحدا كما يظهرها الرسم البياني، فإن الاختلافات بينها ليست اختلافات تتعلق بالتخصص، بل هي اختلافات تتعلق بزوايا النظر فقط. ولقد خصّص ليفي ستروس الوضع الأساسي للأنثروبولوجيا بثلاث صفات أساسية هي: الموضوعية، والشمولية والدلالة. ويستند هذا الوضع الخاص على إمكانات كونها نسقية من منظور الثقافة (الجغرافيا والأنثروبولوجيا واللسانيات والأركيولوجيا) والأنثروبولوجيا الاجتماعية (علم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس). وهذا الوضع يمكن الأنثروبولوجيا من دراسة الأشياء المرئية وغير المرئية قصد إظهار البنيات الخفية في الظاهرة المدروسة. ممّا يجعل الأنثروبولوجيا تجاور حقل السميائيات وتتناور معه. إنها أنثروبولوجيا تطمح لأن تكون علما سميائيا وتجعل البحث عن المعنى وجهتها الأولى والرئيسية.¹⁷

إن قدرة السميائيات تبدى في خلق لغات قادرة على الوصف، أكثر مرونة ووضوحا ومنهجية. وهي ترتبط ضمنا بجميع التخصصات التي تدرس الثقافة للمساهمة في خلق تكامل وإدماج ثقافي. وتشكّل الأنثروبولوجيا السميائية والأركيولوجيا السميائية مثالين دالّين على القيمة المنهجية الممكنة للسميائيات. لذلك فإن محاولات مالمينوفسكي لصياغة نظرية علمية للثقافة هي مشابهة جدا لتلك التي أجريت في السميائيات. مما يجعلنا نلاحظ ونلمس التآزر بين السميائيات والأنثروبولوجيا.

ويقتضي منطق التخصص أن تكون الثقافة موضوعا للبحث السميائي. بل إن أمبرتو إيكو ذهب أبعد من ذلك حيث نقل اهتمامه إلى موضوعات أكثر تعقيدا، فأصبح واضحا أمامه أن الثقافة لا يمكن أن نفهمها فقط بوصفها موضوعا سميائيا، بالعكس: الثقافة كلّها يجب أن ندرسها بوصفها ظاهرة تواصلية تقوم على أنساق دلالية هدفها إنتاج المعنى. وهذا معناه أن الثقافة لا يمكن دراستها إلا بهذه الطريقة، وبهذه الطريقة وحدها يمكن فهم الآليات الأساسية في العمل الثقافي.¹⁸

ويناقش بياتيغورسكي أحد مؤسسي مدرسة تارتو- موسكو السميائية في مذكراته، الأسباب التي جعلت المدرسة تخوض غمار البحث ودراسة الثقافة يقول: «إن المنهج الكوني يحتاج لموضوع كوني وحتما سيكون هذا الموضوع هو الثقافة.» إذ أصبحت سيرورة الثقافة موضوعا مركزيا للدراسة، كما

أن ظهور السميائيات الثقافية كان واضحا في مجموعة من المقالات والأبحاث التي نشرتها مدرسة تارتو-موسكو السميائية.

لقد عالجت هذه المدرسة الثقافات باعتبارها جزءا من الكون السميائي، وهذا يثير مجموعة من الأسئلة من بينها ما يلي:

- كيف نميز بين سيرورات وأنساق العلامات الثقافية وبين سيرورات وأنساق العلامات غير الثقافية (أي العلامات الطبيعية)؟
- كيف يختلف مؤوِّلو العلامات الثقافية عن مؤوِّلي العلامات الطبيعية؟
- ما هو الشيء الذي يحدّد هوية وحدود ثقافة ما؟
- ما هي طبيعة العلاقات التي تنسجها الثقافات فيما بينها داخل الكون السميائي؟
- كيف ينشأ التحوّل الثقافي؟

الثقافة سيرورة سميائية تدلّلية

تعدّ الثقافة نسقا سميائيا، وقد عبّر لوتمان عن هذا في كتاباته المبكرة، حيث عرّف النسق «باعتباره بنية من العناصر والقواعد يتم الربط بينها في حالة مماثلة قارة وبين الكون المعرفي بشكل واضح ومنظم»¹⁹ قد يبدو هذا التعريف متاهيا لكنه يشير بدقة إلى المبادئ الجوهرية للنسق؛ فهو بنية من العناصر الوظيفية الواضحة. والبنية بدورها هي مجموع العناصر المنظمة وفق ترتيب هرمي (بعيدا عن استعمالات كلمة هرمي في أبعادها وإحياءاتها القيمية، بل في استعمالاتها التداولية المحضّة) ذات هدف محدد، وهو ما يجعل هذا النسق مميّزا ومختلفا عن الأنساق الأخرى. والمسألة الجوهرية تتبدّى في اعتبار النسق بناء وآلية منهجية ومعرفية وتحليلية. ويبدو من الأهمية الحفاظ على هذا التعريف في الذهن ووضعه في الاعتبار لأن مستعمليه من السميائيين السوفياتيين والبنويين عامة غالبا ما وجّهت لهم انتقادات لأن كتاباتهم لا تعبّر دائما ولا تميّز فيما إذا كان مفهوم «نسق» قد استعمل باعتباره مفهوما عمليا لوصف بعض الظواهر أو باعتباره مقولة وجودية (أنطولوجية) خاصة عندما يتم اكتشاف بعض القوانين الخاصة داخل هذا النسق بوصفها وقائع وحقائق موضوعية.

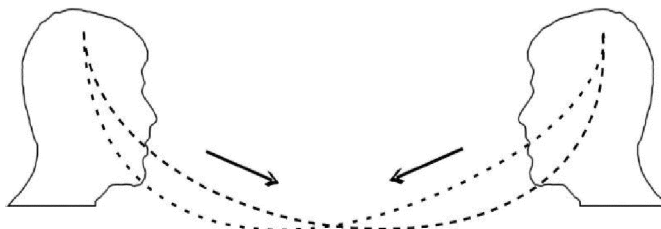
إننا نفهم النسق السميائي، قبل كل شيء، على أنه فكرة مجردة وبناء منهجي يستخدم لوصف إنتاجية التفكير الإنساني وفاعليته مثل اللغة والآداب والسينما والفن أو الثقافة في فتراتنا المختلفة وميولاتها المتعارضة وغيرها من المعايير والمعالم وتحليلها ثم كيف نستعملها ونتفاعل معها. إن الثقافة واللغة أو أي نسق سميائي آخر لا يمكن أن ينظر إليه في ذاته، بل في استعمالاته وتحولاته وتطويره أو التخلّي عنه إذا لزم الأمر. ولا ينتج النسق دلالة أحادية ومكتفية بذاتها ولا يمكن أن يُطرح ويُعزل بعيدا عن تحقيقاته. إنه يولّد عددا من التمثيلات المتسلسلة، يمكن النظر إليها بوصفها سيرورة

تدليلية منتجة لمعرفة أكثر عمقا وتطورا. ولا يمكن للذات الإنسانية أن تفكر خارج هذه السيرورة. هذا يعني أن الأشياء المرتبطة بالتجربة الإنسانية والتي تشتغل باعتبارها نسقا سمائيا متحركا، يتم تداولها كذلك بوصفها سيرورة تدليلية تتحدد كتكثيف لهذه التجربة والممارسة بكل أبعادها وتجلياتها الذهنية والعملية. وخارج هذه السيرورة لن تحيل الوقائع سوى على قضايا مجردة عالقة عارية من التاريخي والتسنيين الثقافي.

التواصل وتوليد المعنى

حسب أنصار سمائيات الثقافة، «فإن الخاصية الأولى المميزة للثقافة باعتبارها نسقا هي الخاصية التواصلية»²⁰. فكل الظواهر الثقافية ينظر إليها بوصفها موضوعات تواصلية وأنساق دلالية. فالعلاقات الاجتماعية والإنسانية لا تقوم ما لم تنسج علاقات تواصلية، إذ يهدف الإنسان في كل أنشطته إلى إعداد المعلومات وتبادلها والحفاظ عليها. «وعلى هذا الأساس تعدّ الثقافة مجالا لتنظيم الأخبار والمعلومات في المجتمع الإنساني. وتعتبر آلية الثقافة بمثابة جهاز قادر على التحويل والتحكم في المحيطين الداخلي والخارجي. إذ تحوّل الفوضى إلى نظام والناس الغفل إلى متعلمين والمذنبين إلى عادلين. ولأن الثقافة لا تعتمد في حياتها على التقابل بين المجالين الداخلي والخارجي فقط، بل تعتمد على الحركة من أحدهما إلى الآخر، فإنها لا تحارب الفوضى الخارجية فقط بل تحتاجها أحيانا. إنها لا تكتفي بتعطيمها ولكنها تخلقها باستمرار»²¹.

«وهناك طرق عدة للتواصل داخل الثقافة، وهي طرق وصفها لوتمان بأنها مجموعة سمائية مركبة تتكون هي الأخرى من عدد لا بأس به من الأنساق السمائية. وتعريف عام فإن كل نسق يسهل التواصل بين شخصين أو أكثر يمكن اعتباره لغة. فالفن هو نوع من أنواع هذه اللغات التي تتفرع بدورها إلى لغات أخرى حيث الآداب والسينما والفنون الجميلة... لكن ما هي الخصوصيات المميزة لسيرورة التواصل داخل الفن؟»²² للإجابة عن هذا السؤال حسب أليكسي سيمنكو، «يلزمنا العودة لما أشار إليه اللساني السويسري فيرديناند دي سوسير - أحد الأعلام الذين كان لهم الفضل في ميلاد السمائيات - واللساني الروسي رومان جاكبسون - مؤسس حلقة براغ للدراسات اللسانية وأحد الوجوه المهمة بالنسبة لمدرسة تارتو - موسكو السمائية-. ويمكننا التدليل على سيرورة التواصل هذه انطلاقا مما جاء في كتاب دي سوسير «محاضرات في اللسانيات العامة» حيث تنطلق فكرة دي سوسير حول التواصل من زاوية تفسيره حلقة أو دائرة الكلام التي تفترض داخلها وجود شخصين على الأقل من أجل استواء عملية التواصل»²³ وهو ما شخصه أليكسي سيمنكو في الرسم الموالي نقلا عن سوسير نفسه²⁴



وتنطلق هذه العملية من المرسل إلى المرسل إليه. وإن منطق هذه الحلقة موجود في دماغ أحدهما وهو (أ) حيث تقترن ظواهر الإدراك أي التصورات الذهنية؛ (أي المدلولات) بما يمثل الصور السمعية (أي الدوال) المستخدمة للتعبير عن تلك الظواهر. ولنفرض أن تصورا ما يثير في الدماغ صورة سمعية مناسبة له، فإن هذه العملية تمثل ظاهرة نفسية صرفة، تليها ظاهرة فيزيولوجية، أي إن الدماغ يأمر أعضاء التصويت، فتنتشر الموجات الصوتية من فم (أ) إلى أذن (ب) وهي عملية فيزيائية بحتة. ثم إن الدورة تتواصل عند (ب) ولكن بطريقة معاكسة: أولا من الأذن إلى الدماغ، حيث تتم عملية تبليغ فيزيولوجية للصورة السمعية، ثانيا في الدماغ نفسه حيث يتم الربط الذهني بين تلك الصورة و التصور الذهني الذي يناسبها. فإذا تكلم (ب) بدوره فإن هذه العملية الجديدة، أي كلام (ب)، ستسلك في تنقلها من دماغه إلى دماغ (أ) نفس المسلك الذي سلكته العملية الأولى بالذات، أي كلام (أ)، و تمر بنفس المراحل المتتابة²⁵. إن تركيز سوسير لم يكن منصبا على الاختلافات الكلامية بين المتحاورين بل على وجود قاسم مشترك بينها داخل الفعل التواصل. ولقد ميّز سوسير في لسانياته بين اللسان والكلام، وهذا ما وضحه الدكتور سعيد بنكراد.

● «فاللسان يتميز بالاستقلالية والانسجام، وهو أداة الوصف والتصنيف. فلا يمكن معرفة أي شيء دون الاستعانة بعلامات اللسان. ذلك أن العالم بكل موجوداته يحضر في الذهن على شكل مضمون لساني، فأشياؤه وتجاربه توزّع وتصنف من خلال المفاهيم وطرق التقطيع التي يوفرها اللسان. فنحن لا يمكن أن ندرك هذا العالم ولا أن نعرف عنه أي شيء إلا عبر الكلمات وكل ما يسمح به نظام اللسان. فاللسان أداة للتعين وأداة للتصنيف وأداة للتقطيع المفهومي.»²⁶ ومادام اللسان بهذه الطريقة فهو يعدّ مدخلا حقيقيا للدرس السميائي وقد عبّر سوسير عن ذلك في نصه الشهير «إن اللسان نسق من العلامات المعبرة عن أفكار، وهو بذلك شبيه بأبجدية الصم والبكم وبالطقوس الرمزية وبأشكال الآداب والإشارات العسكرية، إلا أنه يعد أرقى هذه الأنساق.»²⁷

● «إن اللسان أرقى هذه الأنساق لأنه يعد مؤولها ووجهها اللفظي. وهو أيضا المصفاة التي عبرها تحضر هذه الأنساق في الذهن. فلا يمكن الإحاطة بجوهر هذه الأنساق ومعرفة طرق اشتغالها دون الاستعانة بنسق من طبيعة أخرى يوجد خارجها. فاللسان وحده يستطيع أن يكون في نفس الآن أداة للتواصل (فهو أرقى وسيلة للتواصل وتبادل المعارف والخبرات الإنسانية)، ويشغل كنسق يوضح نفسه بنفسه (اللغات الواصفة المشتقة منه بهدف مقارنة تجارب معرفية متنوعة، واللغات الواصفة المشتقة منه لدراسة قوانينه التركيبية والدلالية والصوتية ...). وهو أيضا- وبعد هذا وذاك -الأداة الوحيدة لفهم وتأويل الأنساق الأخرى. فلا يمكن الحديث

عن الموسيقى من خلال خطاب مشتق من النوتات الموسيقية، تماما كما لا يمكن شرح الصورة بالصورة، ولا فهم اللوحة من خلال خطاب آخر غير خطاب الكلمات المؤولة لعناصر اللوحة. إن تحديد عناصر التدليل وميكانيزماته يمرّ بالضرورة عبر ما يقدمه اللسان من أشكال للتقطيع والتنسيق والتداول.²⁸»

«إن موقع اللسان هذا هو الذي يجعل منه بوابة رئيسة نحو فهم مناطق جديدة من الإنساني والاجتماعي وتحديد أنماط التدليل والتواصل داخلها. لقد كانت هذه الأنساق في حاجة إلى شكلنة خاصة تمنحها وجودا مستقلا وتمكنها من إنتاج أشكال شتّى من الدلالات الخفية والصريحة. إلا أن هذه الشكلنة ما كان لها أن تتم قبل معرفة القوانين التي تحكم اشتغال اللسان، فهذه القوانين هي ذاتها التي يجب أن تطبق على الأنساق الأخرى تمهيدا لخلق علم يقوم بدراسة مجمل الأنساق الدالة التي تحكم الوجود الإنساني في كليته. فهذه الأنساق، مثلها مثل اللسان، هي أنساق دالة وخاضعة لمجمل التّسنيّنات الاجتماعية التي تحكم إنتاج الدلالة وتداولها، وهي أيضا قادرة على أن تشكل عناصر للتواصل ونقل المعرفة وتخزينها وصيانتها، وهي في النهاية جزء من تجربة إنسانية تتميز بالشمولية وموزعة على مناطق للتدليل والتواصل».²⁹

• أما الكلام فهو التحقق الفردي والمادي للرسائل التي تمّ إنتاجها على قاعدة النسق اللساني. ولأنه إنجاز فردي، فهو يشير إلى قدرة الفرد على تحويل اللسان من نسق مجرد إلى كيان مرئي من خلال أفعال تحيينية.³⁰ يرى سوسير أن هذه الفردية يمكن الإمساك بها من خلال:

أ - التأليف الذي يسمح للذات المتكلمة استعمال سنن اللسان للتعبير والإفصاح عن أفكارها.

ب - الآليات النفسية والفيزيولوجية التي تسمح بإخراج هذه التأليفات.³¹

« ومع ذلك فإن الفردية لا تعني أن الذات المتكلمة حرة في استعمالها لعناصر اللسان وفق أهوائها الخاصة. إنها على العكس من ذلك محاصرة بقوتين: ما يقدمه اللسان من قواعد وضوابط وإرغامات تحدّ من حركة التأليف وحرّيته، وهي ثانيا محاصرة بالإكراهات ذات الطابع الاجتماعي والديني والأخلاقي والتي على الرغم من وجودها خارج اللسان، فإنها تمارس ضغوطا على الذات المتكلمة وتفرض عليها انتقاء وتركيبا للوحدات وفق مقتضيات المقامات والسياقات المتنوعة.»³²

إن هذا التمييز بين مستويين (اللسان والكلام)، ليس مجرد تقسيم يطال الوظيفة الإبلاغية الموزعة على نسق وإجراء. إن الأمر يتعلق بمبدأ حقيقي للتصنيف يتمتع بمردودية تحليلية بالغة الأهمية. فقياس الظاهرة من زاوية بعدها النسقي أو من زاوية بعدها الإجرائي هو ما يسمح لنا بتحديد موقع الـ"أنا" المنتجة للفعل، باعتبار هذه الـ"أنا" هي البؤرة التي يتجلى فيها وعبرها التدليل والإبلاغ معا. ومن جهة ثانية، فإن هذه الثنائية سيكون لها في ميادين أخرى كالأدب والأنثروبولوجيا والتاريخ أهمية كبيرة في التعرف على الظواهر وتصنيفها وتحديد الثابت فيها من المتحول.³³

إن التواصل بين الأفراد يظل أمراً قائماً لأن كل الرسائل الفردية مبنية على النسق اللغوي نفسه. وهو إذن نقل فعال للمعنى والأخبار، كما يحتوي على رسالة، وكل رسالة تتكون من علامات. وبالمقابل يستحيل أن نتحدث عن تواصل خال من تسينات أو من شفرات ومن رسالة لأن السنن والرسالة يوجدان في علاقة جدلية وثيقة؛ وهو ما تقترحه خطاطة جاكبسون التواصلية المعروفة بعناصرها الستة.³⁴

السياق

المرسل الرسالة المرسل إليه

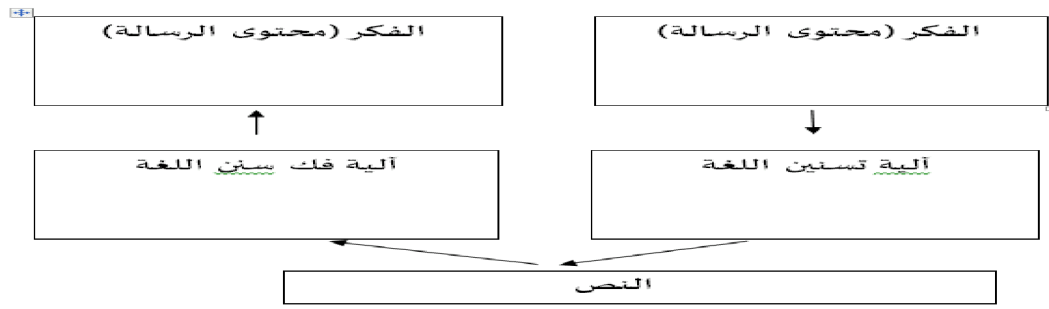
اتصال

السنن

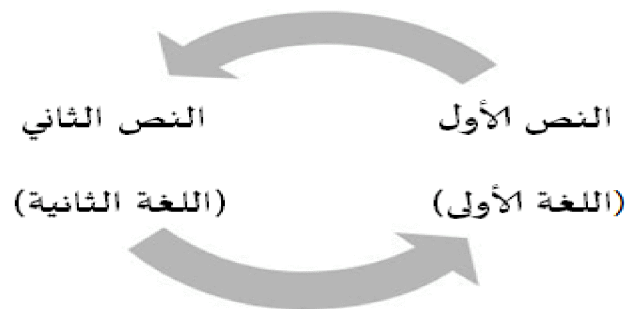
وتُسند إلى كل عنصر من العناصر الستة السالفة وظيفة لغوية على النحو الآتي:

- المرسل تسند له الوظيفة التعبيرية
- المرسل إليه تسند له الوظيفة الإفهامية أو التأثيرية
- الرسالة تسند لها الوظيفة الشعرية
- السياق تسند له الوظيفة المرجعية
- الاتصال تسند له الوظيفة الحشوية أو الانتباهية
- السنن تسند له الوظيفة اللسانية الوصفة

« ولقد أوضح لوتمان أن هذه الخطاطة التواصلية، على الرغم من أهميتها، إلا أنها ليست كافية بالقدر المطلوب أثناء تطبيقاتها على مجال الثقافة. ففي رأيه، يجب أن ينصبّ التركيز على النص، لأنه هو الدعامة الحقيقية للتواصل وأساس الفاعلية السميائية. وقد اقتبس لوتمان هذه الخطاطة التواصلية المتعارف عليها في نقل الرسائل، كاشفاً أنها لا تمثل سوى وضع مثالي واحد لنقل الأخبار؛ أي إنها تسند وظيفة واحدة للنص؛ تتبدّى في نقل المعلومة بشكل كاف وملائم. وإذا اعتبرنا بأن هذه الوظيفة هي الوحيدة، ففي هذه الحالة يمكن مقارنة النص بعلبة رسائل تخفي دلالة ما. حيث يتلقى المرسل إليه رسائل ويقوم بفتحها ويستخرج بعض معانيها دون تعديل أو تحوير، ودون إلحاق ضرر بهذه العلية. إنها خطاطة تواصلية مثالية، لكن كما أشار لوتمان لا يمكن أن تطبق سوى على بعض الأنساق السميائية الاصطناعية الموضوعية أصلاً لنقل الرسائل دون تحريف لمحتواها. ففي الثقافة، فإن كل نقل لخبر ما يعدّ دائماً ترجمة وتحويلاً له. »³⁵ وهو ما أشار إليه أليكسي سيمينكو في الجدول أسفله:

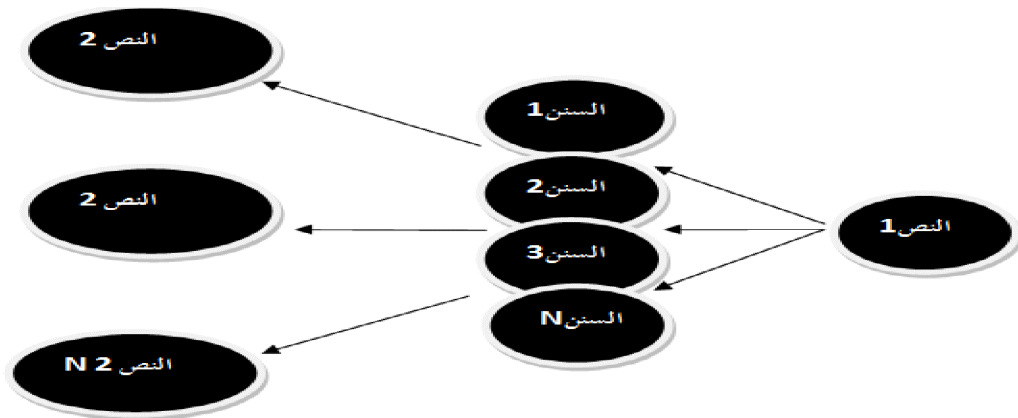


«إن الطريقة التي يتم بموجبها تبادل المعلومات، لم تعد طريقة سلبية في نقلها لرسالة خاصة وكافية في ذاتها، من محتوى ذاكرة ما لمحتوى آخر. إن نقل هذه الرسالة يصبح ترجمة، وهي قادرة على تحويل هذه الرسالة. والسعي نحو تحقيق ترجمة كافية من شأنه أن يقحمنا في صراع مأساوي نظرا لاستحالة تحقق هذه الترجمة بشكل كامل. وينجم عن هذا دخول العملية التواصلية في صراع وتوتر دائم مع ذاتها.»³⁶ ومن المثير للاهتمام أن السمة المميزة لمعظم الأنساق الاصطناعية هي أنها ليست قادرة على إنتاج وتوليد رسائل جديدة. وهو ما جعل لوتمان يحدد الرسالة الجديدة مرة أخرى من خلال مفهوم الترجمة، مع إبراز الطابع الحوارية للتواصل، «فإذا أدت ترجمة النص الأول من لغة أولى إلى لغة ثانية إلى ظهور نص ثان، بشكل يمنحنا، عبر إجراء ترجمة عكسية، مُدخلات النص الأول، فإننا لا نعتبر النص الثاني جديدا مقارنة مع النص الأول.»³⁷ وبعبارة أخرى، فإن الأنساق السميائية الأحادية التي لا تستدعي تأويلات، ستظل أنساقا غير قادرة على إنتاج وتوليد رسائل جديدة. ولنسجل بأن لوتمان يستعمل مصطلح الترجمة بمعناه الواسع؛ فهو لا يقتصر على الترجمة التي تقضي بنقل نص من لغة إلى أخرى، أي الترجمة الدالة على كل وضعية يُنقل فيها هذا النص بين أنساق سميائية غير منسجمة بعضها مع الآخر.³⁸ وقد عبّر أليكسي سيمونكو عن ذلك في الخطاطة الموالية:



ويمكن التدليل على هذا بمثال النسق الدال على إشارات المرور باعتباره نسقا سميائيا اصطناعيا معروفا، نظرا لنوعية أهدافه، في كل بقاع المعمور. ولهذا النسق السميائي معجما شبه محدود وتركيبا بسيطا يتبدى في التأليف بين العلامات، لأن هدفه هو القضاء على كل تعارض أو تناقض يشوش على تأويل هذه العلامات.³⁹ بمعنى آخر، إننا نكون أمام نسق تقني لا يستدعي مجهودا ذهنيا

للتفكير فيه أثناء عملية تفسيره أو تأويله، خلافا لما يكون عليه الوضع في اللغات الطبيعية خاصة لغة الفن: فالوضعية مختلفة جذريا، لأننا قادرون على إنتاج سلسلة لا متناهية من الرسائل التي تعطى لها تأويلات عدة ومختلفة. فإذا حصل وأن قُمنّا بترجمة نص أو جملة بسيطة من العربية إلى الفرنسية ثم من الفرنسية إلى العربية، فإن النتيجة قد تختلف أحيانا وبشكل دالّ. لهذا لا ينبغي لبرامج الترجمة الآلية أن تخدعنا، لأن هذه البرامج تحاول مَكْنَنَة عملية الترجمة عبر خوارزمات بمعالجة اللغات الطبيعية كما لو كانت اصطناعية. فالترادف والمشتراك اللفظي، من العوامل التي تزيد من تعميق سوء الفهم عندما يتعلق الأمر بالترجمة الآلية. وهكذا فحتّى لو كان المشاركون داخل العملية التواصلية يتقاسمون لغة واحدة، فهناك عوامل كثيرة جدا تؤثر على هذه العملية، مما يؤدي إلى عدم توازن أو إحداث خلل داخل السنن لكل من المرسل والمرسل إليه: فرغم تجربتهما اللغوية والثقافية، وكفاءتهما، وتمثلهما للمعايير والقيم، والتداول الاجتماعي للمعنى بينهما، والذاكرة المشتركة، فإن التوازن بين سنن كل واحد منهما يبقى، مع ذلك، نسبيا. وإذا حاولنا أن ننتج شريطا سينمائيا مقتبسا من رواية، أي ترجمة الرواية إلى لغة سينمائية بعدها سوف نقوم بكتابة رواية جديدة انطلاقا من مشاهدتنا لهذا الشريط، فإنه من غير المرجح أن نحصل على روايتين متطابقتين نتيجة لذلك. ومن ثمة فإن السمة الأولى الحاسمة في الفعل التواصل هي مبدأ عدم التماثل أو اللاتماثل⁴⁰: فعوض أن نتحدث عن تطابق تام ينبغي أن نتحدث عن تأويلات ممكنة، وبدل أن نتحدث عن تحوّل مماثل، يلزمنا أن نتحدث عن تحول مفارق وغير مماثل وعوض الحديث عن هوية بين العناصر المكونة للنص الأول والثاني يلزمنا أن نتحدث عن اختلافات بينهما. كما تبين خطاطة لوتمان أسفله⁴¹



إن الفعل التواصل عند لوتمان يفترض مسبقا تغييب هوية المرسل والمرسل إليه، معبّرا عن فكرة مُفارقة لا تفترض الفهم داخل العملية التواصلية فقط، بل تفترض أيضا «عدم الفهم أو سوء الفهم وبعده هذا شرطا أساسيا للتواصل، فالنص المفهوم تماما هو في الوقت نفسه نصّ لا جدوى منه على الإطلاق»⁴².

إن لإدراج فكرة سوء الفهم في العملية التواصلية دورا جوهريا في كشف الإمكانيات الدلالية الثرية والمتجددة، فلا شيء إذن قابع كليا في موقعه الأصلي وفي معناه المباشر: فالعادات والتقاليد والأساطير

والأحلام والأعمال الفنية والنظريات العلمية... كل هذه المظاهر وتجلياتها تتجه نحو إمبراطورية المعنى. ومن هنا فإن التساؤل حول هذا المعنى في ظل المقاربة السميائية سيضعنا أمام إشكالات لها أهميتها في الدرس السميائي الثقافي المعاصر من قبيل الإنتاج والاستهلاك والتداول والفهم والتأويل والتلقي والذاتي والموضوعي والمجرد والملموس والمحايث والمتجلي... وهي إشكالات مركبة ومرتبطة في العمق بإشكالية الفهم؛ أي فهم النص، باعتباره سيرورة داخل نسق عام هو الكون السميائي. وإن الفهم ليس سلوكا موعلا في الذاتية، بل هناك أفق للفهم يحدده التاريخ وتحدده الثقافة. وفي كل عملية فهم، وهي المسار الطبيعي، نحو إطلاق العنان لسيرورة التدليل والتأويل، يجب استحضار قوانين النص وقوانين السياق؛ وقوانين الكون السميائي، أي مجمل المعارف والأحكام المسبقة والانتقادات السياقية التي يمكن للنص الإحالة عليها بصورة مباشرة أو غير مباشرة، لأن تأويل النص، لا يمكن أن ينفصل عن الأحكام المسبقة التي تنتج عن الارتباط التاريخي للذات وعن استمرارية التقاليد أو التراث بتعبير فيلسوف التأويلية هانز جورج غادامير. فالذات المؤولة، وهي تدخل في حوار مع النص، تستدعي مخزونها الثقافي والموسوعي فتنتعش أفكار وتجارب، كانت تمثل عناصر مترسبة، وتراجع أخرى إلى الخلف وتقفز أخرى إلى الأمام، وتطفو أخرى فوق سطح النص، ويعدّ هذا انتقاء سياقيا يكثف وينظم ويؤطر التأويل ويمنحه هويته التاريخية والدلالية المحددة. وللمؤول وحده القدرة على تحيين هذه الهوية الدلالية ضمن هذا المسير التأويلي أو ذاك؛ أي تحديد مجمل الإمكانات التأويلية القابلة للتجسيد والتحقق من خلال فعل القراءة المتعدد والمتنوع، «إن القراءة إذن، هي البنية الأساسية والمشاركة لكل تحقيقات المعنى»⁴³. بذلك نكون أمام مقاربة سميائية تستند إلى كفاية القارئ وأهليته، وهي مقاربة لا تنظر إلى النصوص على أنها عوالم تفترض وجود معنى كلي ونهائي يقتضي من المؤول البحث عنه، بل إن الأمر يتعلق بجهة نظر معينة (افتراضات وأحكام مسبقة ترسّبات)، وهي بمثابة فرضية مسبقة للقراءة قائمة على تسينات وتعاقدات مختلفة ومتعددة، تؤثر وتشتغل بوصفها شبكات للقراءة والتأويل. «لذلك فالفرق الأساسي بين خطاطة يوري لوتمان التواصلية، وباقي الخطاطات الأخرى يتبدى في كون الأولى (خطاطة لوتمان) قائمة على تسينات متعددة ومتداخلة قادرة على إنتاج عدد هام من النصوص الجديدة. وبمعنى آخر إن لوتمان، لا يركز في التواصل على التشابه بل على الاختلافات»؛⁴⁴ والاختلافات هي المؤلدة للمعنى وهي ثناء على حركية المعنى وعلى دينامية الكون السميائي التي لا يمكننا السيطرة عليها وعلى المرونة الخلاقة لحدوده. ويشغل مفهوم توليد المعنى بعدا جوهريا في نظرية لوتمان السميائية، لأنه هو المشكل للوظيفة الإبداعية للنص. هذه الأخيرة ستصبح ذات أولية عندما يتعلق الأمر بسياق الفن والثقافة وهي وظيفة مرتبطة جوهريا بفكرة التعدد النصي التي غالبا ما تثار في كل أعمال لوتمان. فالتصّ ينتمي في الآن نفسه، لأكثر من لغة،⁴⁵ لأن الوعي الإنساني هو وعي غير متجانس، وحتى في ظل الوعي الواحد يمكننا أن نعثر على

وعين؛ وعي يدرك العالم باعتباره نسقا منفصلا عن التسنين وآخر يدركه باعتباره نسقا متصلا. وإن الوحدة الأساسية للنسق الأول هي العلامة بينما يعدّ النص هو الوحدة الخاصة بالنسق الثاني»⁴⁶

وحسب لوتمان دائما فإن تراتبية النصوص داخل ثقافة ما، هي تراتبية تداولية مرتبطة بنسق الشفرات أو التّسنيين التي تسهّل عملية فهم هذه النصوص. ولهذه التّسنيين كذلك بنية تراتبية؛ فهي منظمة وفق نسق سمائي أو وفق أكوان دلالية محاطة بعدد من المجالات التي يمكن أن تشوّش على هذه الدلالة. وكل كون دلالي يكون قادرا على إعطاء تفسير للعالم ممّا يتيح فرصة أو محاولة فهمه. وتتألف هذه الأكوان الدلالية من أنساق العلامات التي تنظّم وتشكّل وتصوغ العالم بناء على الدلالات المقدّمة له.

خاتمة

يرى يوري لوتمان أن السميائيات ثقافية بطبيعتها، فعملها السميائي وفائدتها التحليلية أمور ثقافية قبل كل شيء. فهو لا يؤمن بأنه من الممكن تفسير الواقعة السميائية خارج السياق الثقافي الذي تُوجد فيه، وإذا كان لابد من وجود مجال تفيد منه السميائيات فهو مجال التحليل الاجتماعي والثقافي. وهو التّصور نفسه الذي نلمسه كذلك عند أمبرتو إيكو وإريك لاندوفسكي. ولقد كان أمبرتو إيكو صاحب فكرة مؤداها أن «السميائيات» شكلٌ من أشكال التحليل الاجتماعي، إذ تلعب دورًا في تغيير المجتمع وكشف تناقضاته. وبعبارة أخرى، تعدّ السميائيات ضرباً من فهم الثقافة بعد أن أصبحت - بفضل إمكانياتها التحليلية - مقارنة نقدية كاشفة، ومن ثم مؤثرة جدًا.

لقد أضحى واضحًا حسب أمبرتو إيكو، أن الثقافة لا يمكن أن نفهمها فقط بوصفها موضوعًا سميائيًا، بالعكس: الثقافة كلها يجب أن ندرسها بوصفها ظاهرة تواصلية تقوم على أنساق دلالية هدفها إنتاج المعنى. وهذا معناه أن الثقافة لا يمكن دراستها إلا بهذه الطريقة. وبهذه الطريقة وحدها يمكن فهم الآليات الأساسية داخل السيرورة الثقافية. يقول كليفورد غيرتز في بداية كتابه المعنون بـ «تأويل الثقافات» «إن مفهوم الثقافة الذي أؤمن به، والذي نريد أن نوضح فائدته ونقف على أهميته ، هو مفهوم سميائي في جوهره. فأنا أعتقد مع ماكس فيبر أن الإنسان حيوان معلق في شبكات من المعاني التي نسجها بنفسه، وأنا أعتقد أن الثقافة هي هذه الشبكات، وتحليل هذه الثقافة ليست - بهذه المنزلة - علمًا تجريبيًا يبحث عن قانون، ولكنه تحليل تأويلي يبحث عن دلالة ما»⁴⁷

إن الممارسة التأويلية في ظل المقاربة السميائية للثقافة تؤكد حقيقة واحدة مفادها، أن النشاط الإنساني قادر على إنتاج وتداول سلسلة من القواعد والضرورات التي تسمح بالتواصل وخلق حوار بين الذوات الإنسانية. وهذا الإنتاج يتم وفق وجود مناطق متعددة تعكس ثراء التجربة الإنسانية وثراء أكوانها الثقافية، وتنوع هذه المناطق هو الذي يفسّر تعدد التأويلات وغناها. بمعنى آخر، إن السلوك الإنساني منظورا إليه في أبعاده وتجلياته المباشرة لا يمكن أن يحدد أو ينتج أي شيء، ولا

يمكن أن يدلّ من تلقاء ذاته. إنه كذلك عندما يحتضنه الفن والتاريخ والتراث والثقافة التي تثرية بزخم هائل من الإحياءات والقيم المضافة والمنمذجة، حينها فقط يمكن الحديث عن سلوك تأويلي؛ أي عن فعل يُستوعب داخل عوالم تملك صلة بالثقافي والتاريخي؛ أي في إطار سيرورة تأويلية يحكمها مفهوم «الوعي بتاريخ الفعالية» أو الوعي المندمج في إطار السيرورة التاريخية بوصفه امتلاكاً للوعي بالموقف التأويلي، على حدّ تعبير فيلسوف التأويلية الألماني هانز جورج غادامير.

الاحالات:

¹ Juri M. Lotman, Uspenskij, B. A.; Ivanov, V. V.; Toporov, V. N.; Pjatigorskij, A. M. 1975. Theses on the semiotic study of cultures (as applied to Slavic texts). In: Sebeok, Thomas A. (ed.), The Tell-Tale Sign: A Survey of Semiotics. Lisse (Netherlands): The Peter de Ridder Press, 57-84.

² Ibid, p. 57.

³ Silvi Salupere, Peeter Torop, Kalevi Kull, BEGINNINGS OF THE SEMIOTICS OF CULTURE UNIVERSITY OF TARTU UHU PRESS TARTU SEMIOTICS LIBRARY 13, editors: Kalevi Kull, Silvi Salupere, Peeter Torop Copyright: University of Tartu, 2013.p. 15.

⁴ Silvi Salupere, Peeter Torop, Kalevi Kull, BEGINNINGS OF THE SEMIOTICS OF CULTURE, Op. Cit, p. 16.

⁵ Ibid, p. 16.

⁶ Ibid, p. 16.

⁷ Silvi Salupere, Peeter Torop, Kalevi Kull, BEGINNINGS OF THE SEMIOTICS OF CULTURE. Op. Cit, p. 17.

⁸ Ibid. p. 17

⁹ Boguslaw , Zylko. 2001. Culture and semiotics: Notes on Lotman's conception of culture. New Literary History 32(2). P. 392.

¹⁰ Thomas, Winner. 1979. Some fundamental concepts leading to a semiotics of culture: An historical overview. Semiotica 27(1/3): 78.

¹¹ Ibid, p. 78.

¹² Roland, Posner. 2005. Basic tasks of cultural semiotics. In: Williamson, Rodney; Sbrocchi, Leonard G.; Deely, John (eds.), Semiotics 2003: "Semiotics and National Identity". New York: Legas, p. 307/308.

* لقد كان لاكتشاف مفهوم الثقافة من طرف "تايلور" أكبر الأثر في تنظيم موضوعات هذا العلم في إطار واحد، فهو المركز الذي ينتظم حوله معظم الظواهر التي ترتبط عن قريب أو بعيد بالإنسان، وبالتالي فالأنثروبولوجيا الثقافية ترمي إلى فهم طبيعة ظاهرة الثقافة وتحديد عناصرها سواء في المجتمعات الحالية أو المجتمعات القديمة، فهي تبحث في التغير الثقافي وعمليات الاقتراض والامتزاج والصراع بين الثقافات، وتحديد نتائج تلك الاتصالات الثقافية، كما تدرس خصائص الأشكال المتشابهة من الثقافات أي الأنماط الثقافية التي تحدث بصورة مستقلة في الأماكن والعصور المختلفة.

• Evolutionary Cultural Semiotics

• Bochum Publications in Evolutionary Cultural Semiotics

¹³ Walter. Koch, A. Walter 1989. Bochum publications in evolutionary cultural semiotics: Editorial. In: Koch, Walter A. (ed.), Culture and Semiotics. Bochum: Studienverlag Dr. Norbert Brockmeyer, p. V.

¹⁴ Silvi Salupere, Peeter Torop, Kalevi Kull, BEGINNINGS OF THE SEMIOTICS OF CULTURE. Op. Cit. p. 18.

¹⁵ Ibid. p. 18/19.

¹⁶ Ibid. p. 19.

¹⁷ Silvi Salupere, Peeter Torop, Kalevi Kull, BEGINNINGS OF THE SEMIOTICS OF CULTURE. Op. Cit. p. 18.

- ¹⁸ Umberto Eco, 1976. A Theory of Semiotics, Indiana University Press, p.22.
- ¹⁹ Lotman 2000a, 387. Cité in ALEKSEI SEMENENKO The Texture of Culture An Introduction to Yuri Lotman's Semiotic Theory. PALGRAVE MACMILLAN New York. 2012. P. 23.
- ²⁰ ALEKSEI, SEMENENKO The Texture of Culture An Introduction to Yuri Lotman's Semiotic Theory. Op. Ci; p.24.
- ²¹ Juri Lotman, M.; Uspenskij, B. A.; Ivanov, V. V.; Toporov, V. N.; Pjatigorskij, A. M. 1975. Theses on the semiotic study of cultures (as applied to Slavic texts). Op. cit, 57/58
- ²² ALEKSEI, SEMENENKO The Texture of Culture An Introduction to Yuri Lotman's Semiotic Theory. Op. Ci; p.24
- ²³ ALEKSEI, SEMENENKO The Texture of Culture An Introduction to Yuri Lotman's Semiotic Theory. Op. Ci; p.24
- ²⁴ -Ibid. p.24.
- ²⁵ Ferdinand de Saussure, 1972. Cours de Linguistique générale, éd. Payot, p. 27/28.
- ²⁶ سعيد بنكراد: السميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، الطبعة الثالثة 2012 دار الحوار للنشر والتوزيع سوريا. ص: 64.
- ²⁷ Ferdinand de Saussure, Cours de Linguistique générale, Op. Cit, p. 33
- ²⁸ سعيد بنكراد: السميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص: 64.
- ²⁹ المرجع نفسه، ص: 65/64.
- ³⁰ المرجع نفسه، ص: 65/64.
- ³¹ Ferdinand de Saussure, Cours de Linguistique générale, Op. Cit, p. 31
- ³² سعيد بنكراد: السميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص: 72.
- ³³ المرجع نفسه، ص: 73/72.
- ³⁴ Roman, Jakobson. 1963. Essais de linguistique générale (tome1), Paris, Editions de Minuit, p. 213/214
- ³⁵ ALEKSEI, SEMENENKO The Texture of Culture An Introduction to Yuri Lotman's Semiotic Theory. Op. Cit. P.27.
- ³⁶ Yuri M. Lotman. "Primary and Secondary in Communication-Modeling Systems." In Soviet Semiotics: An Anthology, edited by Daniel Lucid, 95–98. Baltimore: Johns Hopkins University Press. 1977a. p. 97/98.
- ³⁷ Yuri M. Lotman. Universe of the Mind. A Semiotic Theory of Culture; Translated by Ann Shukman, Introduction by Umberto Eco, I.B. TAURIS & CO. LTD Publishers London. New York. 1990. P.13/14.
- ³⁸ ALEKSEI, SEMENENKO The Texture of Culture An Introduction to Yuri Lotman's Semiotic Theory. Op. Cit. P.27
- ³⁹ Ibid. P.28.
- ⁴⁰ ALEKSEI, SEMENENKO The Texture of Culture An Introduction to Yuri Lotman's Semiotic Theory. Op. Cit. P.29.
- ⁴¹ ALEKSEI, SEMENENKO The Texture of Culture An Introduction to Yuri Lotman's Semiotic Theory. Op. Cit. P.29.
- ⁴² Yuri M. Lotman. Universe of the Mind. A Semiotic Theory of Culture; Op. Cit. P. 80
- ⁴³ Gadamer. Hans – George: L'Art de comprendre. Ecrits II Herméneutique et champ de l'expérience humaine; Textes réunis par Pierre Fruchon, Ed; Aubier, 1991; Page:31
- ⁴⁴ ALEKSEI, SEMENENKO The Texture of Culture An Introduction to Yuri Lotman's Semiotic Theory. Op. Cit. P.28
- ⁴⁵ Yuri M. Lotman. The Structure of the Artistic Text. Translated by Ronald Vroon. Ann Arbor: University of Michigan Press 1977d. P.298.
- ⁴⁶ Yuri M. Lotman. Universe of the Mind. A Semiotic Theory of Culture; Op. Cit. P. 36.
- ⁴⁷ Clifford Geertz, 1973. The Interpretation of Cultures, New York: Basic Books. P. 5.